ندوة « الآداب »

ادبنا المعاصر ...

في ضوء التيارات الفلسفية

« من الطبيعي ان تتناول هذه الندوة اولا مفهوم العلاقة بين كل من الادب والفلسفة : ما معنى هذه العلاقة ؟ وما حدودها ؟ وما الطريق الى تقويمها ؟ ثم استعراضا عاما لاهم التيارات الفلسفية السائدة في عالم اليوم ، وصداها في الادب العالمي بصفة عامة ، ثم تقويم ادبنا العربي المعاصر في ضوء هذه النظرة ، بكل ماتتطلبه من عرض للظاهرة ، وتبريرها ثم محاولة التنبؤ بمستقبل هذه التيارات في واقعنا العربي ، ومدى انسجامها مع حقيقة الانسان العربي ، والادب العربي ،في هذه الحقبة من التاريخ ».

ويشترك في البحث الدكتور لويس عوض والاستاذ نجيب محفوظ والدكتور عبد الرحمن بدوي . وها هو الاستاذ نجيب محفوظ يحدد لنا اولا مفهوم هذه العلاقة بين الادب والفلسفة :

الاستاذ نجيب :

اعتقد أن الفلسفة يمكن ان تدخل الى الادب من اكثر من سبيل ..

فهي قد تدخل الى العمل الادبي اولا عن طريق مضمونه ، بمعنى ان تكون للعمل الادبي فكرة فلسفية ،فيكون عملا فلسفيا قبل كل شيء .. ومثال ذلك روايتا كامي : الغريب والطاعون ومسرحيات سارتر من الادب الوجودي المعاصر ، وفاوست من الاديب القديم ، ورسالة الغفران وحي بن يقظان من التراث العربي القديم .. أي ان فكرة المضمون تكون فلسفية ، وقد تدخل الفلسفة الى العمل الادبي دون ان تكون فكرته فلسفية ، أي ان يتضمن العمل شخصيات فلسفية او متفلسفة بالفعل ، ويتضح ذلك من خلال الحوار اوالمواقف.ومثال ذلك الـ Point Counter Point لالدوس هكسلي ..

وقد تدخل عن طريق أخرى ـ ليس عن طريق الفكرة أو الشخصيات ـ وانما عن طريق انعكاسها على النظام الذي يقوم عليه العمل الادبي .. أي في الحبكة نفسها .. ويتضح لنا هذا عندما نتتبع الاحداث ومصائر الاشخاص مثلا فيتكشف لنا أن المؤلف يريد أن يقول ان الشخصية تتكون وتتلقى مصيرها نتيجة للبيئة ، فهنا اذن ايمان بالفلسفة المادية التي ترى أن الانسان نتيجة للبيئة والمحيط .. وقد نجد في العمل الادبي مجموعة من المصادفات التي تحدث فواجع معينة ـ أقصد المصادفات المقصودة وهي غير تلك التي تجري عن سهو من المؤلف ـ مثل مصادفات توماس هاردي التي تعكس فلسفته في أن الانسان لعبة في يد القدر ...

فالفلسفة هنا انما تسللت الى العمل الادبي في نظامه .. المدخل الرابع للفلسفة الى العمل الادبي هو أن الاديب أو خالق العمل الفني يتأثر بالثقافة الفلسفية ، وهنا تؤثر الفلسفة في العمل تأثيرا غير مباشر ولكنها تعطيه ثراء محسوسا ..

دكتور بدوي :

هذا تحديد ممتاز للمداخل التي تدخل منها الفلسفة

الدكتور لويس عوض

الدكتور عبد الرحمن بدوي

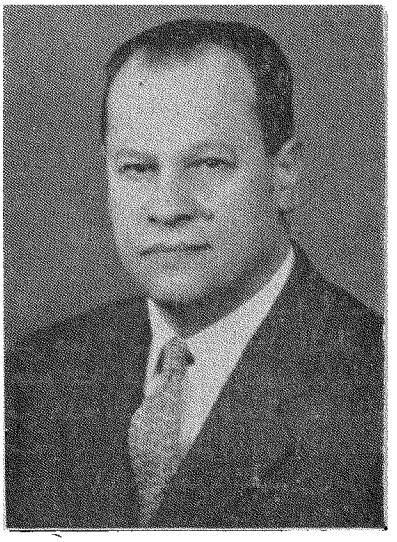

الاستاذ نجيب محفوظ

الى العمل الادبي .. ولكني أذهب الى أبعد من هذا بكثير فأرى أنه لا قيمة لاي عمل أدبي ما لم يكن وراءه مذهب فلسفي معين، فكبار الادباء وراءهم دائما مذهب في الوجود ونظرة عامة في المجتمع أو الحياة ، بل مذهب ميتافيزيقي كامل يصدرون عنه في مؤلفاتهم الادبية ..

وسأحاول هنا أن أدلل على هذه القضية ببعض النماذج من الادبين الالماني والفرنسي ـ اللذين أحسنهما أكثر من غيرهما ـ ..

فتوماس مان تأثر أولا بشوبنهاور ثم بنيتشه ثم بالنزعات العلمية التي سادت القرن الماضي ، وكانت النزعة التأثرية التي يندرج تحتها أدبه متأثرة بهذه النزعات العلمية . ففي روايته مثلا مولدين بروك التي حاز بها على جائزة نوبل ـ نجد أن الشخصية الرئيسية في الرواية يقرأ قبل وفاته صفحات من الفصول التي كتبها شوبنهاور عن الموت . والمؤلف هنا يريدنا نحن القراء أن ننظر الى بطل الرواية على أنه يصدر في أعماله الخاصة نتيجة للتأثر بهذا الفيلسوف ..

ثم هو متأثر بفاجنر .. وما موسيقى فاجنر الا تجسد صوتي نغمي لفلسفة شوبنهاور ..

وكذلك هو في قصصه اخوة يوسف ويعقوب وأولاده، نجد فلسفته الكاملة في الحياة تظهر بكل قوتها ..

ومن الافكار الرئيسية في أعمال توماس مان فكرة التكرار التي أخذها عن « كير كجورد » وهذه الفكرة : فكرة التكرار أو العدد تشغل الكثير من تفكير توماس مان وقصصه . الشاعر ريلكه الفيا ، في كل شعره خاصة في أغان « لاورمنوس » وفي « الايليجيات » يصدر عن فلسفة كاملة مأخوذة عن كير كجورد ، وكل النقاد الذين كتبوا عنه نظروا الى شعره مبتدئين بهذه الفلسفة ..

كذلك فان شاعرا كـ ت.س.اليوت متأثر كل التأثر بالفلسفة الكاثوليكية حينا ، وبالاساطير اليونانية في فكرتها العامة حينا آخر .. ففكرة النار والماء تلعب دورا مشهورا خاصة في قصيدته « الارض الخراب » .

وسارتر في غنى عن أي بيان ، فكل أعماله الادبية تعود الى مبادىء عامة في الفلسفة الوجودية ..

في قصته « الغثيان » مثلا .. نرى الانسان تمتد به الحياة الى غير غاية ويموت بالصدفة .

وكذلك كامو في رواياته وفي مسرحه الضئيل ، يرجع الى مبادىء عامة في الفلسفة الوجودية ..

وما نريد تأكيده اذن : أن العمل الادبي أيا كان ـ قصيدة أو قصة أو مسرحية ـ لا بد له أن يكون متأثرا بفلسفة معينة ، وأن تكون (خلفيته) قائمة على فلسفة معينة .. فالعمل الادبي كما يقول توماس مان كالمذهب الفلسفي .. في احكامه وبنيانه ، كذلك فان عملية الاحكام الفني التي يقوم بها الفنان تشبه انشاء المذهب الفلسفي ، فهو يعبر عما لا يستطيع العقل المنطقي التعبير عنه . وفي ضوء هذه النظرة ، فان ما آخذه على أدبنا المعاصر هو خلوه تماما من هذه الناحية ، فمعظم أدبنا المعاصر يصدر عن فكرة سخيفة خاطئة تقول بأن الادب يجب الا تدخله الفلسفة ، وهذا من سوء الفهم الكامل الذي اثر في أدبنا المعاصر تأثيرا ضارا .. فانا لا افهم أن يكون العمل الادبي دون أن يكون وراءه ـ ولن اشترط هنا مذهبا فيه احكام ومنطق خاص ـ وانما نوع من النظرة الشاملة العامة في الوجود والحياة يصدر عنها الاديب في كل ما يؤلفه ..

دكتور لويس :

ان ما قيل في هذه النقطة ـ اقصد علاقة الادب بالفلسفة ـ فيه الكفاية . ولكن لي بعض الملاحظات البسيطة من تجربتي مع أنواع الادب المختلفة ، فأنا افرق بين نوعين من الادب : الادب النقدي والادب الخالق .. وأنا أوافق الدكتور بدوي على ما قاله من ضرورة وجود استناد فلسفي من نوع معين وراء كل عمل أدبي ضخم .. ولكن المشكلة هي تعريف معنى هذا الاستناد وحدوده .. أعتقد ـ بالنسبة للادب النقدي ـ انه من الجائز من صاحبه ان يصطنع موقف الفيلسوف ، أما الادب الخلاق ، فلعل من شروطه الاساسية أن يخلو من الاعتماد على مذهب فلسفي واضح ، وانما دخول الفلسفة في الادب والفن لا يكون الا بمثابة تحويل الفكرة الفلسفية الى عقيدة أو فكرة دينية أو الى ما يشبه التصوف ..

والمثل الوحيد الحي الذي تحولت فيه الفلسفة الى فن وشعر هو العصر الروماني، بعد أن مرت مرحلة العاصفة والاندفاع ، والتزم الرومانسيون فكرة وحدة الوجود التي ورثوها عن « سبينوزا » .. ولكنها انتقلت من طور الاحكام الفلسفية والقضايا المنطقية كما نرى في الاخلاق عند سبينوزا الى عقيدة شعرية .. فمذهب « الحلول » بعد أن تحول الى مضمون شعري وفني أصبح مختلفا تماما عن العقيدة الفلسفية لدى سبينوزا ، بالرغم من انه ـ لدى الناقد والمؤرخ والاديب ـ تلتقي هذه المذاهب في أصل واحد .. وربما نبعت من اصل واحد. وفي عصرنا الحديث مذاهب كثيرة تصارعت على المستوى النظري ، وقد تأثر الادباء بالطبع بنتائج هذا الصراع ، ونحن نجد أن الكاتب الذي يتحمل مسئولية العصمة عادة تام النمو . فبعضهم جذبته الفلسفة الماركسية ، درسها عند ماركس وانجلز ، وربما أوغل في أصولها الجدلية عند هيجل ، ولكني لا أعتقد أن هناك فنانا يمكنه التعبير عن هذه الفلسفة بمعناها التقليدي ذي الاركان المحددة والمبوبة ..

فلا بد للفنان اذن من عملية تحول ، عملية كيميائية بتعبير اليوت ، تتحول عن طريقها العقيدة النظرية الى تحولات روحية ، وقبل حدوث هذا التحول لا مجال للفلسفة في الخلق الفني . بل ان الفنان سيفشل فنيا وان كان قد نجح كفيلسوف ..

واذا تتبعنا المدارس الرئيسية في الفلسفة ، التي كان لها تعبير أو آثار في الادب والفن لوجدنا انها تنقسم من حيث التاريخ الى مدرسة المنهج العلمي ، ومن التعبيرات المباشرة عنها في انجلترا أدب هـ.ج. ولز ، الذي خصص عامة أدبه لانتاج القصص العلمي .. وامثال ولز كثيرون ..

من الناحية التاريخية أيضا ، نجد أن الماركسية زحفت على الادب الغربي . وبالرغم من أنها لم تثمر كثيرا في انجلترا الا انها انتجت صدعا فيها أو ثورة عليها ظهر فيما يسمى بالاشتراكية الفابية او التدريجية او الديموقراطية . وتبلورت في أدب شعر ومجموعة الكتاب الفابيين الذين حاولوا تصوير الفلسفة الاشتراكية على أساس تطوري وليس على أساس العنف ..

ثم نتج عن الحرب العالمية الاولى احساس بالكارثة العنيفة التي تتهدد البشرية وبالطوفان الذي يغمر الانسانية، أن أعلن بعض المفكرين والشعراء الذين لا يريدون التخلي أو التنازل عن بعض القيم التقليدية ـ افلاس الحضارة

ـ التتمة على الصفحة ١٠٩ ـ

ندوة الاداب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٦ ـ

والرجوع الى العصور الوسطى ، فجذبهم فكر القديس توماس الاكويني والكاردينال نيومان وأمثالهما ، ودرسوا كثيرا في الكاثوليكية والرجعة الى الوراء ، ولم يكن لافلاس الحضاره في رايهم من حل الا الايمان على الطريقه الكاثوليكية ، ولكن هناك فرق بين اليوت وتوماس الاكويني .. فاليوت نسيج شعره أقرب الى الحالات التهجدية منه الى النسج الفكري الفلسفي ..

ومن التيارات المهمة في القرن العشرين ـ نتيجة للثورة العلمية ـ تيار الاحتجاج على العلم ، وكان مظهره في اكتشاف اللاوعي بنوعيه ، اللاوعي الفردي عند فرويد ولاوعي المجموع عند يونج ، وكذلك سائر المذاهب الفلسفية التي تحتج على تمدد العلم والعقل وسيطرته ، والمناداة بالرجوع الى منابع الفطرة الاولى من الشخصية الانسانية ...

وآخر مدرسة فلسفية ذات حيز كبير هي المدرسة الوجودية التي ربما ظهرت كنتيجة للاحساس باليأس ، أو بأن الانسان حبيس ، احياها الفرنسيون بعد ان احدوها عن الفكر الالماني وأعطوها لوحة خاصة ، وحاولوا أن يحلوا بها أزمة الانسان .. وهي ممثلة سواء في الفكر الكاثوليكي كما نجدها عند جابرييل مارسيل ، أو الفكر الدنيوي كما نجدها عند سارتر وكامي .. وهؤلاء جميعا ليسوا متطابقين في تفكيرهم الوجودي .. فلكل منهم فكرته الخاصة عن الوجودية وأدبه يعبر عنها الى حد ما .. والذي أريد الالحاح عليه ـ اذن ـ هو أنه قبل أن يصل الفكر الفلسفي الى مرحلة الخلق الفني لا بد أن يتحول هذا الفكر الى ترسبات روحية أولا ..

دكتور بدوي :

انا متفق مع الدكتور لويس فيما قاله من أن الادب ليس من مهمته أن يكون مجرد تعبير أو دعوى لمذهب فلسفي ، والا انتقل الى نوع من الادب التعليمي الخالص ، فمثلا شعر لوكريتوس في الادب اليوناني الذي وضع مذهب ابيقورس في صيغه شعرية لم يكن شعرا بالمعنى الحقيقي بل تغلبت الناحية التعليمية على الفنية الخالصة لديه . وعندما يأخذ الشاعر الاتجاه التعليمي أو شبه التعليمي فهو في الواقع يخدع فنه وقد يخونه بعض الخيانة ..

ولكن الذي لا أستطيع أن أوافق الدكتور لويس عليه هو ما يتصل بالعملية التي تتم ، فالدكتور لويس يرى أنها عملية ترسبات ، ولكني أرى أن هذا اضعاف شديد للتأثير الذي نتحدث عنه ، فالمسألة ليست عملية مستترة مستكنة في اللاوعي ، ولكن الفنان يجب أن يكون واعيا تمام الوعي بأنه انما ينشىء في الوقت نفسه مذهبا في الوجود ونظرة في الحياة وان لم يكن يصوغه في الصيغ الفلسفية المتعارف عليها في الكتابات الفلسفية ... الدكتور لويس ذكر مثلا الرومانسية . الرومانتيك الالمان مثل نوفالس أو هيلدرلين أوضحوا هذا في كل شعرهم وفي الكتابات القليلة التي كتبوها فيما بين القصة والشعر .. فقد تأثروا بايكارت وجاكوب بميه وآثارة ضئيلة من مذهب سبينوزا . ولكن الغلاف العام الذي وضع فيه هذا التعبير هو الغلاف الفلسفي لنوع من وحدة الوجود الغامضة المطلقة التي دخلت فيها هذه الافكار .

لكن المهم أن كلا من هؤلاء الشعراء كان شاعرا تمام الشعور بأنه صاحب مذهب معين في الوجود وأن شعره وفنه تعبير ـ بلغة الفن ـ عن هذا المذهب ، وليست المسألة مسألة تأثر برواسب قليلة ماضية كبعض العوامل اللاشعورية الناتجة عن البيئة أو الوراثة .. وغيرها ..

فهذا اضعاف شديد لما قلناه من قبل ، من أن الفلسفة تدخل في العمل الفني كخلفية ظاهرة واضحة مشعور بها تمام الشعور لدى الفنان ، ويجب أن يعي الفنان ـ عند خلق العمل الفني ـ أنه يخلق عالما خاصا يصنع له كل الصورة الممكنة التي يراها كمفكر له نظرته في الحياة والوجود .

الاستاذ نجيب :

الدكتور لويس قال أكثر من هذا .. فهو ينصح الاديب الخالق بالابتعاد عن الفلسفة .

دكتور لويس :

لا .. ليس بهذه الصورة ..

دكتور بدوي :

في الواقع الدكتور لويس بدأ برأي ، وانتهى بعكسه تماما ..

الاستاذ نجيب :

في الواقع ، لا مهرب من الفلسفة ..

دكتور بدوي :

.. وشعور الاديب بأنه يضع مذهبا معينا ..

دكتور لويس :

يوم يحس الاديب الخالق أنه يكتب فلسفة أو يهدف الى اثبات وجهة نظر ، فهذا ينتقص من فنه ..

دكتور بدوي :

تقصد الالتزام ؟ ..

الاستاذ نجيب :

العبرة بالتنفيذ . فحتى لو كان الاديب شاعرا وهو يكتب بأنه يحقق فلسفة بلغة أخرى كما يقول الدكتور بدوي ، فانه يمكنه أن ينتج عملا فنيا صالحا تماما ـ والمثل على هذا مسرحيات سارتر وكامي ، فمن الممكن للقارىء الذي لا يلم بالفلسفة الوجودية، أن يرى من هذه المسرحيات فنا صحيحا ناضجا ..

والدرجة الاخرى ـ التي يخشى منها الدكتور لويس ـ نجدها عند سيمون دي بوفوار .. فالافواه

اللامجدية غير مسرحيات سارتر بالرغم من أن هذه وتلك تعبر عن شيء واحد ، ذلك لان في مسرحيات سارتر فنية واحكامه ومنطق بنائه الفني الاصيل ..

وهناك أيضا شولوخوف ـ وهو أديب شيوعي اشتراكي وتطبقي أيضا ما في ذلك شك ـ ولكن روايته « النهر الهادىء » تقف الى جانب أعمال تولستوي ودوستويفسكي بالرغم من أن هناك عشرات من الكتاب الشيوعيين ننفر من أدبهم لانه تعليمي لا روح فيه .. فالعبرة اذن بالتنفيذ .. ومن الناحية العامة لا مهرب من الفلسفة .. والاديب لا بد له أن يتأثر بطريقة ما ..

واذا تأملنا أيضا دعوة روسو والمذهب الرومانسي ، وفي القرن العشرين لو نظرنا الى فلسفة برجسون وفرويد والنزعة العلمية والى بونكاريه وبروست وجويس ، حتى الاديب الذي لا يريد الخضوع لاية فلسفة كاناتول فرانس يخرج في النهاية في فلسفة شكية .. فلا مهرب من الفلسفة ، بل لو أننا انتزعنا « الباكجروند » الفلسفي من العمل الادبي لم تصبح له أية قيمة .. حقيقية ..

دكتور بدوي :

فعلا أحسنت بذكر مارسيل بروست .. لان انتاجه يظهر للقارىء كانه أدب صرف .. ومع ذلك لا يمكن أن يفهم أبدا في معظمه الا اذا أخذنا بنظرية برجسون في الذاكرة والزمان ..

دكتور لويس :

يبدو أننا مختلفون على مفهوم الادب ذاته وليس على مفهوم العلاقة بين الادب والفلسفة .. انا لا اغض من اهميه الفلسفة في العمل الادبي ، كل ما أقوله انني انفي أن الاديب ـ في عملية الخلق الفني ـ يريد أن يثبت شيئا .. والفرق بين الاديب والفيلسوف أن الاديب يفترض فلسفة ولا يستنتجها ، أي لا يحاول اثباتها .. فنظرية العودة الى الطبيعة مثلا هي مجموعة من المسلمات عند كاتب ك.هـ.د. لورانس ولكن من حيث انه يحاول اثبات العودة الى الطبيعة أسميه فيلسوفا .. وليس فنانا ..

***

« الدكتور لويس أوضح ـ في النهاية ـ أن الخلاف قائم على مفهوم الادب وليس على مفهوم العلاقة بين الادب والفلسفة، واذن فهناك اتفاق عام حول جوهرية هذه العلاقة وان كان كل من المتناظرين يرى لها أبعادا ومظاهر مختلفة بعض الاختلاف عن زميله ـ في بداية الندوة هاجم الدكتور بدوي أدبنا المعاصر على أساس أنه يفتقر الى هذه التيارات الفلسفية ـ ويبدو أن للاستاذ نجيب رأيا مخالفا : ..

***

الاستاذ نجيب :

في مجال الرد على الدكتور بدوي أقول ان أدبنا لا يخلو من خلفية فلسفية ، بل ان من الصعب أن نجد أدبا معاصرا ليس وراءه نوع من الفلسفة ، وعلى ضوء التقسيم الذي اتبعته في أول الامر .. فمثلا الادب الذي يحتوي على مضمون أو فكرة فلسفية وجد لدينا في السنوات القليلة الماضية ، بل ان الدكتور بدوي ذاته كان له أثر فيه.. وهو الادب الوجودي .. وأضرب مثالا على ذلك المجموعة القصصية « حيطان عالية » لادوارد الخراط . فمضمونها في الغالب وجودي وان كان الشكل تعبيريا ، وكذلك مسرحية « الاخر » لعبد العزيز السيد ، وربما كان اسمها يدل على ذلك ، ومسرحية أخرى للاستاذ أحمد عثمان لا أذكر اسمها الان ـ المهم ان لدينا الان بذور ادب وجودي صريح ..

كذلك في أدبنا المعاصر أدب صوفي ، والصوفية من الممكن اعتبارها فلسفة على أساس أنها نظرة عامة للكون والوجود ، ولو أن المنهج غير فلسفي .. كما يتضح ذلك مثلا عند جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمه ونسيب عريضه .. فان في أدبهم أفكارا صوفية أساسية هي التي تسيطر على انتاجهم كله ..

وبالنسبة للادب الذي دخلته الفلسفة عن طريق شخصياته المسرح الذهني عند توفيق الحكيم ، فواضح فيه أن المسرحيات تقوم على أفكار فلسفية ، وكنت أود أن ادرسها جملة ، لارى هل يستند الحكيم في جملته الى فلسفة معينة ؟

ففي « أهل الكهف » يعالج فكرة الزمان ، وفي « شهرزاد » نسبية الحقيقة وفي « أوديب » موقف الانسان أمام الحقيقة ... وربما كان الدكتور لويس عوض قد درس هذه النقطة فيوضحها لنا ..

وفي شعر العقاد أفكار فلسفية كثيرة خاصة في قصيدته « الشيطان » وربما كان وراءها ـ الى حد ما ـ شيء من فلسفة نيتشه ..

كذلك فان تشاؤم المازاني على فترتيه : الاولى التي كان تشاؤمه فيها متجهما ، والثانية التي كان تشاؤمه فيها باسما ومسلما ، وراءه شيء من شوبنهاور في تشاؤمه وفي النيرفانا لديه وفي التسليم في النهاية ... بل ان المازني كتب عن شوبنهاور كتابة مباشرة وعقد فصولا في المقارنه بينه وبين أبي العلاء المعري .

أما النوع الثالث الذي تتمثل الفلسفة لديه في الخطة الفنية للعمل الادبي فلن أضرب الامثال عليه لكثرتها ، فأبناء الجيل الثالث من الادباء الذين يمثلون الواقعية الاشتراكية يعكسون في انتاجهم الفلسفة المادية الاشتراكية ..

فالواقع أن وراء أدبنا المعاصر ـ هنا في مصر أو في البلاد العربيه ـ فلسفات .. والى جانب الفلسفة الاشتراكية ، ظهرت الوجودية ، والرومانسية ايضا ابتداءمن المنفلوطي .. والتي ترجع الى روسو والعودة الى الطبيعة ، ولها نفس سمات الادب الرومانسي العالمي في نشأته وفي تطوره .

وحتى في النقد ، نجد أن الدكتور طه حسين كناقد وراءه فلسفة ديكارت وطريقته في الشك المنهجي ، ولو أننا نجده في قصة « الايام » رومانسيا مؤمنا بالانسان والحب والتعاون ، أي مبادىء فلسفة الرجوع الى الطبيعة والفطرة السليمة .. الخ. فأدبنا في الواقع لا يخلو أيضا من الفلسفة ، والجزء الذي يخلو منها خلوا تاما ... ليس أدبا كما يجب ..

دكتور لويس :

الامثلة التي ذكرها الاستاذ نجيب ، فيها أمثلة متماسكة مثل توفيق الحكيم ومسرحه الذهني ، ومحاولته التعبير عن فلسفة معينة سواء بالنسبة للاشياء أو الزمن ، ولكن بالنسبة للحكيم بالذات ، لا استطيع تبويبه في فلسفة معينة ، الا التي أعلنها هو وهي التعادليه ، وانا غير مقتنع بجديتها كنظام فلسفي يمكن ان يحل لنا مشاكل الحياة والموت والابدية كما يقولون ..

أما قصيدة الشيطان للعقاد فهي موقف شعري أكثر من كونها أي شيء آخر . وأيضا بعض النماذج الاخرى التي ساقها الاستاذ نجيب تدخل في باب الموقف الشعري.

ولكن اشارته للفلسفة الوجودية وتغلغلها في الفكر العربي الحديث ، أو للواقعية الاشتراكية وتغلغلها في مدارس القصة العربية الحديثة ، فاعتقد أن لها سندا تاريخيا وفلسفيا .

وأدبنا العربي الحديث في مصر ـ على الاقل من ناحية الفكر والنقد ـ كان دائما يعبر عن اعتناقات فلسفية، فمنذ رفاعة الطهطاوي نستطيع أن نرى بوضوح أن هذا الرجل قد قرأ الفكر الليبيرالي الاوروبي وتأثر به ، لدرجة أنه فهم مضمونه السياسي والاجتماعي وسائر مضموناته.. وفي أواخر القرن التاسع عشر نجد قاسم أمين ، وفي أوائل القرن العشرين نجد لطفي السيد، ونرى تأثرا واضحا بالفلسفة النفعية ، والفلسفة الليبرالية بوجه عام..وواضح من كتابات هؤلاء أنهم درسوا جون ستيوارت ميل وبنسن الاب والابن ، أي أنهم كانوا يتقنون الفلسفة الليبرالية في أصولها ..

وأي قارىء لطه حسين يحس بتبعيته لمنهج ديكارت في الفلسفة ، وقد أشار هو الى هذا في أكثر من موضع ، ولكن المهم ليس فقط في اشارته وانما في تطبيقه .. لقد تغلغلت فيه الديكارتية لدرجة أنه ابتدأ يعيد تقويم الادب العربي على أساس الشك فيه ..

أما بالنسبة للعقاد ، فالحقيقة أن تبويبه صعب ، لانه بالرغم أن ثقافته الاجنبية هي الانجليزية ، الا أن أقرب شيء اليه هو ـ في رأيي ـ الفلسفة الالمانية .. ولست بقادر على تعليل هذه الظاهرة لدى العقاد .

الاستاذ نجيب :

المدرسة الانجليزية تأثرت بالمدرسة الالمانية .

دكتور لويس :

لقد تخير من المدارس الانجليزية كلها ما هو ألماني . أو بمعنى آخر ، لقد لاحظت أن الاثر الوحيد المتبقي في فكره من كل كتاباته هو الفكرة الكانتية عن المطلقات ثم الفكرة المتعالية لدى كارليل ومجموعته ..

فالعنصر الوحيد الدائم ذو الطابع الفلسفي فيه هو ما أخذه عن الفكر الالماني ، حتى فكرته عن الحرية ، بعيدة جدا عن الفكرة الانجليزية عن الحرية ، وهي أقرب شيء للحرية المطلقة لدى الالمان ..

هذا بالنسبة للجيل القديم ، اما الجيل الجديد فقد وضح تأثره سواء بالمدرسة الاشتراكية الواقعية التي تستند في الاصل الى أسس فلسفية ـ مادية جدلية ـ أو المدرسة الوجودية وان كانت لم تظهر في الادب الانشائي كما ظهرت في النقد لدى مفكرين أمثال الدكتور بدوي وتلميذه الاستاذ أنيس منصور ، والدكتور محمد القصاص ، والدكتور مصطفى محمود .. وربما كان هذا أقربهم الى تحقيق الفكرة الوجودية كفنان منه كمفكر ..

ثم هناك سلامه موسى ، وواضح جدا أن الفكرة الاشتراكية الغابية جذبته لدرجة انه طورها ، أي انه درس الماركسية ثم ثار عليها وانحرف عنها وجذبه جورج برناردشو وجماعته فعاش فيهم ثلاثين عاما .. واتضح تأثره هذا في فكره لا في فنه .. فليس له نتاج فني ..

هذه هي أهم الخطوط العامة للفلسفات الحديثة .. وكيف تأثر بها الفكر الحديث في مصر ..

دكتور بدوي :

لكي أوضح الفكرة التي بدأت منها ، أقرر ما قررته من قبل ، وهو ان التأثر بمذهب فلسفي أو وضع مذهب فلسفي أو على الاقل خلفية فلسفية ، يجب أن يكون الفنان شاعرا به وواعيا تمام الوعي .. وعلى هذا الاساس يجب أن يكون له مذهب متماسك نراه « كالخيط الحريري » على الاقل كما يقال في البحرية الانجليزية ـ الخيط الحريري الاحمر ـ الذي يوجد في جميع حبال مراكب البحرية الانجليزية .. هذا الخيط يجب أن يوجد في كل ما ينتجه الفنان ..

والواقع أني أخالف تمام المخالفة كل من يذهب الى القول بأن أدب الحكيم أدب ذهني أو أدب فلسفي أو وراءه أية فلسفة ، لانه لا توجد فكرة مترابطة في جميع رواياته تكون بمثابة النقطة الحادية لكل هذا الانتاج ، بحيث نستطيع أن نستخلص من مجموعة أعماله ـ بل وحتى كتاباته ومذكراته الشخصية ـ ما يدل على تصور خاص في الكون أو الحياة أو الوجود ، أو الوقوف موقفا معينا ..

ونكاد نقطع بأنه في كل عمل من أعماله يتخذ موقفا معينا ، فهو يتبع « المودة » السائدة في وقت ما في أي أدب ، ويحاولها في العمل الذي يكتبه في الوقت الذي يكون فيه هذا المذهب معتبرا بدعا سائدا أو « مودة » .. ولكن ليس في أدبه نوع من المذهب الفلسفي أو التيار الواضح بل لا أستطيع أن أقول ان هناك خلفية فلسفية .

خذ مثلا أهل الكهف ـ فكرة الزمان فيها : فكرة بسيطة عادية ، أي هي من الذين تأثروا بفكرة الزمان سواء من « برجسون » مثل بروست أو سارتر فيما يتصل بوجودية هيدجر .. فهي أفكار بسيطة أولية ساذجة لا يمكن أن ترقى الى مجرد التفكير العميق . ولا يمكن أن ندرجها أبدا بأي معنى من المعاني في فكر فلسفي أو شبه فلسفي .

كذلك فكرة الادب الذهني ، ويقصد به في هذه الحالة الادب الخالي من الحركة ، ولا أفهم أبدا أن كلمة ذهن تعني أكثر من هذا بالنسبة لادب الحكيم ، أي أنه أدب لا يمثل على المسرح لانه خال من الحركة خال من الاحداث وبالتالي لا يمكن أن يصور مسرحيا بالمعنى الحقيقي لكلمة مسرح ، ففي مسرح فلسفي واضح كمسرح سارتر نجد الحركة قوية عنيفة من البداية للنهاية الا في حالة واحدة ،

هي مسرحية « الجلسة السرية » لانها تدور في الجحيم ، فلم يكن بها مجال للحركة للاساس الفلسفي الموجود في هذه الحاله وهو ان الجحيم لا يندرج عليه زمان او مكان . .

ولكن في مسرحيات اخرى للشيطان والرحمن نجد ان الحركه تشتعل وتدفع كل المسرحية من اولها الى اخرها، والاحداث عارمه وقويه ومتفاعله .

فهذا المسرح ـ ولو انه مسرح فلسفي خالص ـ الا انه غير المسرح الذهني اي المسرح الذي لا يمكن ان يمثل ، لانه يخلو من الشرط الاساسي في العمل المسرحي وهو الحركه . .

كذلك ما ذكر عن تاثر العقاد او المازني أو فلان وفلان من أثارات ضئيله وأصداء بعيدة من فلسفات اخرى ، فانه لا يتمثل في أدبهم كمذهب عام . . وأنا هنا أتحدث عن أدبهم الانشائي لانه هو المقصود اما ادب المقالة (ككتابه المازني مثلا عن شوبنهاور) فلا شان له مطلقا بهذا الذي نتحدث فيه . .

ولم أجد هذا اللون من الادب الفلسفي أو الفلسفة التي يجب أن توجد في العمل الادبي الا في الادب الذي ينتجه بعض الشبان الان ، وفي الواقع الامثلة التي ذكرها الاستاذ نجيب نجد فيها هذه التيارات واضحة ، ولكنها لم تتبلور بحيث تكون شخصيات أدبية لها استقرارها ولها المكانة الخاصة التي نستطيع القول فيها : ها هنا أدب له أساس فلسفي واضح . . انما أقول انها جميعا محاولات قوية وعملية ، ومحاولة لتلافي هذا النقص في أدب الجيل القديم الخالي من كل أساس فلسفي ، فباستثناء هذه المحاولات الوجودية والاشتراكية ـ او ادب الالتزام عامة ـ بشرط الا تنحدر الى المستوى التعليمي الذي نجده للاسف في كثير من انتاج هؤلاء بحيث أنه يفتقر أحيانا الى النسيج الحي للعمل الادبي ، أقول باستثناء هذه المحاولات (الاولية) لا نستطيع أن نقول ان وراء الادب الذي استقر حتى الآن ورسخ عمود أصحابه فلسفة بالمعنى الذي أوضحنا من قبل . .

دكتور لويس :

لنعد الى جبران فهو قد أخذ الموقف فقط ـ موقف الوجدان ـ أي ادراك الكون بالوجدان ، لقد أخذ هذا الموقف الرومانسي المتطرف ، واصطنعه ، وأطل من هذه النافذة على كل شيء . . والذي يذكر له بالفضل أنه كان يبدي اصرارا شديدا في هذا الاتجاه لدرجة أنه لون كل انتاجه وانتاج المدرسة التي تليه . . المدرسة الرومانسية التي تمثلت في الشابي وناجي وكل جماعة ابوللو . . واذا كانت لجبران قيمة في الادب العربي فهي هذه . . . أنا لا أحب أدب جبران ولكني أحترم اخلاصه ، وصلابته التي جعلته طول حياته يتمثل موقفا شعريا معينا دون أن تكون لديه قدرة عقلية لابتكار شيء من عنده أو أخذ شيء من غيره . .

ولكن الحصيلة النهائية أن هناك موقفا شعريا فلسفيا رومانسيا غامضا خلاصته انه ينظر للكون من خلال الوجدان . .

دكتور بدوي :

فعلا . . جبران يمثل الاخلاص لمبدأ واحد ومذهب واحد ، ولكن ما ينقص جبران هو الوضوح الذهني الذي يمكن من ورائه أن نستخلص أفكارا متماسكة مترابطة من هذا الضباب التام الذي يعيش فيه جبران ، وفيما عدا هذا فهو مخلص تمام الاخلاص لمذهبه ، حتى في صوره ، وفي كل قطعه الانشائية وفي قصصه التي كتبها عن سلمى وما اليها . . وما ينقصه فعلا هو التحليل الفكري الواضح والاتجاه نحو معالجة بعض المسائل الحية بخلاف المسائل البسيطة كالزوجية وما اليها مما انساق اليه جبران .

فلو أنه استشرف المسائل الرئيسية في الحياة والوجود ، بطريقة أجلى وأظهر ، لكان جبران بالفعل المثل الوحيد المنفرد في أدبنا المعاصر بهذا اللون ، ولكنه اقترب منه قدر المستطاع ، وله هذا الفضل في أدبنا المعاصر .

*

ـ « في مجال التنبؤ بمستقبل هذه التيارات الفلسفية ، أي هذه التيارات أكثر التصاقا بهموم الانسان العربي المعاصر ، وأكثر دلالة على روح العصر في أرضنا وتاريخنا ؟ » .

*

دكتور بدوي :

مسألة التنبؤ في الواقع ستفرقنا شيعا ـ لان لكل منا اتجاهه الخاص . فأنا سأتنبأ للادب الوجودي والدكتور لويس للادب الاشتراكي . . و . .

دكتور لويس :

أبدا . . أنا أتنبأ بشيء غريب جدا لا يتصوره أحد . . أنا أتصور أننا الآن في البوتقة . . وبلادنا تمر في عملية انصهار . .

الاستاذ نجيب :

بوتقة اشتراكية . .

دكتور لويس :

اذا كان ولا بد فهناك احياء رومانسي وذلك نتيجة لتعدد الآثار الرومانسية التي ظهرت في السنوات الاخيرة، واختفاء المدارس الواقعية الاشتراكية . . فهناك اذن حالة تمدد رومانسي . . .

ولكن بالرغم من ذلك لا يوجد هناك ضمان لشيء محدد واضح . .

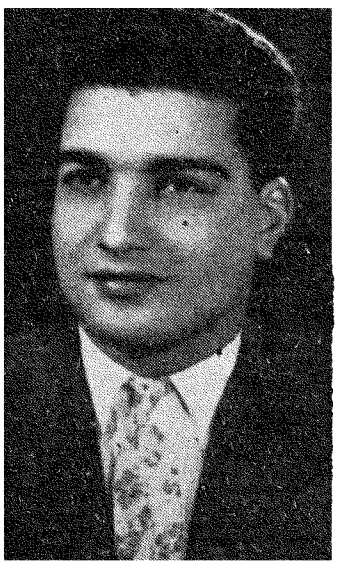

الاستاذ نجيب :

اعتقد ان المستقبل هو للتوفيق بين الاشتراكية والعقيدة الدينية . . او بين الوجودية والاشتراكية .

دكتور بدوي :

هذه النغمة من التوفيق التي انتهى اليها الاستاذ نجيب تكفي للتوصل الى نتيجة مرضية للجميع .

القاهرة

فاروق شوشه